الكنيسة وثقافة العصر[١]

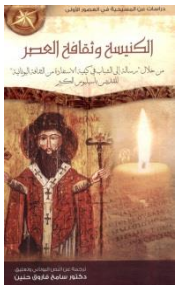

من خلال رسالة القديس باسيليوس الكبير إلى الشباب:
"في كيفية الاستفادة من الثقافة اليونانية"
ترجمة عن النص اليوناني وتعليق
دكتور سامح فاروق حنين

هل تتعارض المعرفة الكنسية مع ثقافة العصر؟ كيف تعاملت الكنيسة الأولى مع الفلسفة المعاصرة لها؟ ثم هل ترفض الكنيسة العلوم الثقافية نهائيًا أم تتعامل معها بشكل انتقائي؟ هذه أسئلة مطروحة منذ القديم. لقد تباينت وجهات النظر بين آباء الكنيسة فيما يخص الفائدة المَرجُوَّة من دراسة المسيحيين للأدب اليوناني ما بين الرفض والقبول.

البعض منهم (كالآباء المدافعين) حارب هذه الفلسفة وهاجمها بعنف، ولعل أشهرهم هو القديس يوحنا ذهبي الفم في الشرق والعلامة ترتليانوس في الغرب. فهؤلاء كانوا يُعارضون أن تكون تلك الثقافة مصدرًا للمعرفة على نحو مُطلَق، ويرون فيها خطرًا على العقائد المسيحية الأساسية والتي تختلف كليًا عن غيرها. كما كان المعارضون يخشون أن تصرف تلك الثقافة عن المعرفة المسيحية وتسرق المجهود والوقت عن المعرفة الإلهية الحقَّة.

أما المؤيدون لأهمية دراسة العلوم المعاصرة فلم يكونوا غافلين عن تلك المخاطر، ولكنهم كانوا يرون فيها تمهيدًا للإيمان المسيحي. ولكن لا بد من التفرقة بين النافع والضار فيها. وكان العلَّامة كليمندس السكندري من أهم المدافعين عن الفلسفة اليونانية، فكان يعتبر "أن كل حكمة هي من الله"، وكما أعطى الله الناموس لليهود ليقودهم للمسيح هكذا أعطى الفلسفة لليونانيين ليقودهم للمسيح، فما هو أفلاطون إلَّا موسى في ثوب يوناني (ص١٤).

وفي إطار هذا الجدل، بين المؤيِّدين والمعارضين، تأتي رسالة القديس باسيليوس إلى الشباب في كيفية الاستفادة من الأدب اليوناني لتحتل مكانًا وسطًا كأحد أهم نصوص الأدب الآبائي. كما أنها تؤكد على الفائدة الكبيرة التي يمكن أن نجنيها للرد على تساؤلاتنا من دراسة نصوص آباء الكنيسة وخصوصًا المثقَّفين منهم ثقافة عالية (مثل ق. باسيليوس).

---

(١) الكتاب مراجعة دكتور وجدي رزق غالي، دكتور جوزيف موريس فلتس، دكتور عماد موريس إسكندر، صدر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، يناير ٢٠١٥، في ١٠٧ صفحة.